فتـــــاة باســـــلة

فِي قَرْيَةٍ من قُرَى التِّيرُول ، وهى المنطقةُ الجبليةُ الواقعةُ فى الجزءِ الغربىِّ من النِّمسا ، كانَتْ تعيشُ لِينَا مع أُمِّها وكَانَ والدُها جُنْدِيًّا شُجاعاً، ضَحَّى بحياتِهِ فِداءً لوَطنِه. فلم تكُنْ لينا تَأْسَفُ لشىءٍ قَدرَ أَسَفِها على أَنَّها لا تَسْتَطِيعُ أن تُصْبِحَ جنديًّا كوالدِها .

وكثيراً ما قَضَتْ وَقْتَها تُناجى نَفْسَها ، وتَتَمَنَّى أَنْ لو كانَتْ ولداً ، فتُدافِعُ عن وطَنِها وبلادِ آبائِها . خصوصاً وأَنَّ جُيوشَ نابليونَ، القائدِ الفرنسىِّ العظيمِ ، كانَتْ تُهاجِمُ التِّيرُولَ فى ذلك الوقت ، وتحاولُ التَّغلُّبَ على أهلِهِ البُسَلاءِ.

وكثيراً ما أَبَتْ لِينَا لأُمِّها أُمْنِيَتَها ، فتقولُ لها الأُمُّ : « تَذَكَّرِى يا لِينَا أن للهِ فى خَلْقِهِ شُئُوناً ، وأَنَّكِ لا تَصْلُحِينَ للحربِ والقتالِ ، ولكنَّكِ تَسْتَطِيعِينَ خِدْمَةَ وطَنِكِ بطُرُقٍ أخرى متعددةٍ . ويكفيكِ الآن ، وأنتِ فتاةٌ صغيرةٌ ، أَنْ تَقُومِى بالواجبِ الذى هيَّأَكِ اللهُ له على الوجهِ الأكمَلِ » .

ولم يَمْضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى تحقَّقَتْ أُمْنِيَّةُ لينا ، واسْتطاعَتْ أَنْ تَخْدِمَ وطَنَها خِدمةً عظيمةً من غيرِ أَنْ تَشْتَرِكَ فى حربٍ أو قتالٍ .

فقد اتَّفَقَ أهل التِّيرُولِ على أَنْ يَرْقُبَ سكَّانُ كلِّ القريةِ العِدِيَّ، حتَّى إذا شَعَرُوا بزحفِهِ عليهم، أَشْعَلُوا نارا من قِمَّةِ الجبلِ ، إنذارا لباقى القُرى ليَسْتَعِدُّوا للدِّفاعِ . ولذلكَ وَضَعُوا على قِمَمِ الجبالِ أكواما كبيرةً من الخشبِ الجافِّ لإشعالِها وقْتَ الخَطَرِ .

وَمَضَتْ أسابيعُ لم يَرَوْا فيها للعَدُوِّ أَثَراً . حتَّى أَقْبَلَ عيدُ الفِصْحِ ، فانْصَرَفَ النَّاسُ يَحْتَفُونَ بذلكَ العيدِ حسْبَ عادتِهم ، وهم مُطْمَئِنُّونَ .

لَكِنَّ لِينَا — لحُزْنِها على فقدِ وَالِدِها — لم تَشْتَرِكْ فى هذه الاحتفالاتِ ، بل انْتَظَرَتْ حتَّى جاءَ المَساءُ ، وخَرَجَتْ من كُوخِ أُمِّها لتَسْتَنْشِقَ الهواءَ . ثم صَعَّدَتْ عَلَى الجَبَلِ. ومع أَنَّ الظلامَ كان حالكا ، فقد وصَلَتْ إلى القِمَّةِ من غَيْرِ تردُّدٍ أو خوفٍ ، لأنها كانَتْ تَعْرِفُ الطريقَ جيِّداً ، ولم تكُن تخافُ أبدا .

ثم نَظَرَتْ حولَها ، فرَأَتْ أكوامَ الخشبِ مُعَدَّةً للاشتعالِ ، وعُلْبَةَ الحُرَّاقَةِ (Tinder-box) التى تُشْعَلُ بها النارُ . ولَكِنَّها لم تَرَ أحداً من الرجالِ المُكَلَّفِينَ بمُرَاقَبَةِ العدوِّ وإشعالِ النارِ، فكانوا قد ذَهَبُوا إلى القريةِ للاشتراكِ فى احتفالاتِ العيدِ .

وكانت على وَشْكِ أَنْ تَعُودَ ، إذْ بها تَسْمَعُ صوتاً . ثُمَّ رأَتْ جنديَّيْنِ من جنودِ الأعداءِ يَزْحَفانِ باحتراسٍ على الجبلِ ، فاختبأَتْ وراءَ شجرةٍ ، وراقَبَتْهُما من غيرِ أن يَرَياها . ولاحَظَتْ أَنَّهُما لَمَّا لم يَجِدا أحداً بجوارِ أكوامِ الخشبِ وقفا ، ثم أشارا إلى رُفَقائِهما بالتَّقَدُّمِ .

وسرعانَ ما أدركَتْ لِيناَ غرضَهم . فقد كانوا ينوُون مهاجمةَ الحرّاس فجأةً ، ومنعهم من إشعالِ النارِ وانذارِ الأهالي ، فلما لم يجدُوا أحداً عزَمُوا على التقدُّم ومهاجمةِ

وأطلق أحد الجنود بندقيته على الفتاة

القريةِ . فصمَّمَتْ لِيناَ على أنْ تقومَ هي بإشعالِ النارِ ، وذهبَتْ بسرعةٍ وخِفّةٍ ، وأخذَتْ عُلْبَةَ الحُراقةِ (صندوق الصوفان) ، وأشعَلَتِ الخشبَ ، ثُمَّ جرَتْ مُسرِعةً نحوَ القريةِ . ولُحسْنِ الحظِّ كانَ الخشبُ مُبلَّلاً بالنَّفْطِ (زيت البترول) ، فاشتعلَ بسرعةٍ ، واضطرَمَتِ النارُ بشدّةٍ .

وتراجَعَ جنودُ الأعداءِ مندهشينَ ، غيرَ أنَّ واحداً منهم رأى شبَحَ الفتاةِ وهي تعْدُو ، فأطْلَقَ عليها بُندُقيَّتَهُ وأصابها في كَتِفِها . لكنَّ الفتاةَ الباسلةَ استمَرَّتْ تجْري رغْمَ إصابَتِها حتى وصَلَتِ القريةَ ، وأنْذَرَتِ السُّكانَ . ثم غلَبَها الإعياءُ والتَّعبُ ، فسَقَطَتْ مغشيًّا عليها .

وفي الوقتِ نفسِه كانَ اللَّهَبُ قد ارتفعَ في الجوِّ ، وأضاءَ الفضاءَ حولَه ، فرَأَتْهُ القُرَى الأُخرى وانتشَرَ خبَرُ هُجُومِ العدوِّ بين القاصي والدّاني . وتجَمَّعَ الأهالي من كلِّ صوبٍ استِعْداداً للقتالِ . فلمَّا رأَتِ الجيوشُ الفرنسيَّةُ أنَّ القومَ مُتأهِّبُونَ للحربِ ، عَدَلُوا عن الهجومِ ، وتراجَعُوا . أمّا لِيناَ — لِيناَ الشجاعةُ الباسلةُ — فلم تُشفَ من جُرْحِها ، ولم تُعمَّرْ طويلا .

لكنَّها عاشَتْ حتى تيَقَّنَتْ أنَّها قدَّمَتْ لبلادِها العزيزةِ خدمةً عظيمةً ، فحَقَّقَتْ أُمْنيَتَها في الحياةِ ، وحتى رأَتِ الإجلالَ والتَّعْظيمَ الذي أحاطَها به أهلُ بلادِها ، الذين ضحَّتْ بحياتِها لانقاذِهم من الموتِ والاستعبادِ .